مسالك المحجّة في استقبال العشر الأولى من ذي الحجّة

2026-05-15

الحمد لله الذي . بيّن الطّريق وأَوْضح المحجّة. وجعل لكلّ شهر خصوصيّة تخصّه. وخصّ بوقوع الحجّ في شهر ذي الحِجّة. وحطّ الذّنوب والأوزار عمّن قصد فيه البيت الحرام وأخلص لله حَجّه. وعظّم الأجر لمن أظهر فيه التّكبير وعَجّه. فسبحانه من إله كَرِيم وَهَّاب، مَنَّ عَلَى عِبَادِهِ المؤمنين بِمَوَاسِمِ الخَيْرِ لِمُضَاعَفَةِ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَجَعَلَ الْعَشْرَ الأَوَائِلَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مَوْسِمَ اغتِنَامٍ لِلْحَسَنَاتِ بِلا عَدٍّ وَلا حِسَابٍ، وخَصَّ بِالْفَضِيلَةِ الأَيَّامَ الْمَعْدُودَات، وَأَمَاكِنَ الْمَشَاعِرِ الْمَعْرُوفَات، فَالْمُوَفَّقُ مَنِ اغْتَنَمَها بِالطَّاعَات، وَالْمَغْبونُ مَنْ فَرَّطَ فِيهَا وَمَلأَهَا بِالسَّيِّئَات. وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ. عظّم حُرْمةَ شهرِ ذي الحجّة وأعلى قَدْرَه. وشرّف عَشرَهُ الأُوَّل بمزيد الفضل ورَفَع ذِكْرَه. وجعله من مواسم الخيرات. لذوي التوفيق من أهل العنايات. وَأَشْهَدُ أَنَّ سيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وصفيّه من خَلْقه وخليلُه. خيرُ الأنامِ، وأفضلُ مَنْ صلَّى وزكَّى وصامَ، وأعظم مَنْ حجَّ واعتمرَ إلى بيتِ اللهِ الحَرامِ، أَخْرَجَ اللهُ بِهِ النَّاسَ إلى النُّورِ بعدَ تقلُّبِهِمْ في غياهبِ الظَّلامِ، فدعَاهُمْ إلى الجنـَّةِ دارِ السَّلامِ، فبلغَ الرِّسالةَ، وأدّى الأمانةَ، ونصَحَ الأُمَّةَ، وكشَفَ الغُمَّةَ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ،

يا أمّةً لنبيٍّ نورُه سطعَ * وعزّ مِقداره في المجد وارتفعَ

كم سَدّ فاقةَ محتاجٍ وكم نفعَ * هذا الذي بالهدى والدين قد صدعَ

صلّوا على المصطفى يا كلَّ مَنْ سمعَ

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَى سيدِنَا محمدٍ المصطفى. وعلى آله الشرفاء. وأصحابه الحنفاء. خصوصا الأربعة الخلفاء. وعلى كل من إليهم اقتفى. صلاة نسألك اللهم بسرّها أن تمنّ علينا بحجّ بيتك الحرام والوقوف بعرفة. وتسهّل علينا زيارة نبيّك وحبيبك المقتفى. صلّى الله عليه وآله وسلّم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إِنَّ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى النَّاسِ، أَنْ جَعَلَ لَهُمْ مَوَاسِمَ تَفْرَحُ فِيهَا قُلُوبُهُمْ، وَتَتَحَرَّكُ

فِيهَا نُفُوسُهُمْ، فَتَجِدُ مُسَارَعَةً فِي الخَيْرَاتِ، وَمُسَابَقَةً فِي عَمَلِ الصَّالِحَاتِ؛ فَيَتَنَبَّهُ الغَافِلُ، وَيَنْشَطُ المُتَثَاقِلُ، وَيَتَذَكَّرُ المُؤْمِنُ تَذَكُّرَ مَنْ تَنْفَعُهُ الذِّكْرَى، قَالَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في سورة آل عمران: {سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَالاَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ٱلذِينَ يُنفِقُونَ فِے ٱلسَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۖ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَۖ وَالذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً اَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْۖ وَمَنْ يَّغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُۖ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَۖ}، وَتَكُونُ النُّفُوسُ فِي تِلْكَ المَوَاسِمِ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ، وَتَصِيرُ الأَرْوَاحُ أَكْثَرَ تَعَلُّقًا بِاللهِ؛ كَيْفَ لا! وَالقُلُوبُ تَزْدَادُ هُدًى وَإِيمَانًا، وَلَكَأَنَّ الإِنْسَانَ يَرَى رَأْيَ العَيْنِ مَا أَخْبَرَ بِهِ المَوْلَى عَنِ المُهْتَدِينَ بِقَوْلِهِ في سورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: {وَالذِينَ إَهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُديٗ وَءَاتِيٰهُمْ تَقْوِيٰهُمْۖ}، وَيَشْعُرُ بِمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ المُؤْمِنِينَ فِي قَوْلِهِ من سورة الأنفال: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمُۥ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمُۥ إِيمَٰناٗ وَعَلَيٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَۖ}، فَيَنْطَلِقُ المُؤْمِنُ فِي مَيَادِينِ الخَيْرَاتِ، فَلا يَتْرُكُ بَابَ خَيْرٍ إِلاَّ وَلَجَ مِنْهُ، وَلا يُفَوِّتُ عَلَى نَفْسِهِ مَعْرُوفًا إِلاَّ أَخَذَ بِحَظِّهِ مِنْهُ؛ فَمِنْ تَطْهِيرٍ لِلْقَلْبِ وَتَوْبَةٍ نَصُوحٍ، إِلَى صَلاةٍ وَصِيَامٍ، وَإِعَانَةِ مُحْتَاجٍ وَتَيْسِيرٍ عَلَى مُعْسِرٍ، وَتَفْرِيجِ كُرْبَةٍ، وَقَوْلٍ حَسَنٍ لِلنَّاسِ، قُدْوَتُهُ فِي ذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ وَالمُرْسَلُونَ، المَوْصُوفُونَ بِقَوْلِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ في سورة الأنبياء: {إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِے ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباٗ وَرَهَباٗ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَۖ}، أيّها المسلمون. إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ المَوَاسِمِ وَأَعْلاهَا مَقَامًا عِنْدَ اللهِ تعالى، هَذَا المَوْسِمَ الَّذِي تَسْتَقْبِلُونَهُ، مَوْسِمَ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ؛ فَلَيَالِيهَا أَقْسَمَ اللهُ بِهَا فَقَالَ في سورة الفجر: {وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ}، وَمَا أَقْسَمَ اللهُ بِهِ فَهُوَ عَظِيمٌ، وَأَيَّامُ هَذِهِ العَشْرِ هِيَ الأَيَّامُ المَعْلُومَاتُ، الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ أَيَّامَ ذِكْرٍ، فَقَالَ في سورة الحج: {وَيَذْكُرُواْ إِسْمَ ٱللَّهِ فِے أَيَّامٖ مَّعْلُومَٰتٍ}، وَإِنَّ هَذَا الذِّكْرَ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ المَعْلُومَاتِ ثَمَرَةُ عَدِّ الإِنْسَانِ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ، وَمَا أَكْثَرَ نِعَمَ اللهِ عَلَى الإِنْسَانِ! وَمَاذَا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ مِنْ تِلْكَ النِّعَمِ وَمَاذَا يَتْرُكُ مِنْهَا! لا شَكَّ أَنَّهُ سَيَقِفُ وُقُوفَ المُسْتَيْقِنِ تَمَامَ الاسْتِيقَانِ مِنْ حَقِّ قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة النحل: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞۖ}، نَعَمْ {إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞۖ}، عَلَى التَّقْصِيرِ، فَكَمْ مِنْ

نِعْمَةٍ أُوتِيَ الإِنْسَانُ وَنَسِيَ ذِكْرَ اسْمِ اللهِ عَلَيْهَا، وَأَنَّهَا مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى النَّاسِ، كما قال تعالى في سورة البقرة: {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}، أيّها المسلمون. وَإِنَّ مِنْ أَوْجَبِ الوَاجِبِ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى نَفْسِهِ وَيُذَكِّرَهَا بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهَا؛ لِيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ عَلَى تِلْكَ النِّعَمِ، وَإِنَّ هَذَا المَوْسِمَ مِنَ المَوَاسِمِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ فِيهَا الإِنْسَانُ بِهَذِهِ العِبَادَةِ الشَّرِيفَةِ، الَّتِي كَادَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَنْسَاهَا؛ فَقَدْ جَاءَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي القُرْآنِ، فَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى في سورة الحج: {وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ}، لِيَكُونَ بَعْدَ الذِّكْرِ الشُّكْرُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الشُّكْرُ! شُكْرٌ بِإِعْطَاءِ النَّفْسِ حَظَّهَا مِنْ تِلْكَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، وَذَلِكَ نِصْفُ الشُّكْرِ، وَالنِّصْفُ الآخَرُ يَتَحَقَّقُ بِتَحَسُّسِ حَاجَةِ المُحْتَاجِ وَعَوْنِ الأَخِ أَخَاهُ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ في سورة الحج: {فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ}، وَهَلْ عَاقِبَةُ الشُّكْرِ إِلاَّ الزِّيَادَةُ، قال تعالى في سورة النساء: {وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا}، يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ في سورة إبراهيم: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ}، أيّها المسلمون. وإِنَّ نَبِيَّنَا ﷺ قَدْ أَرْشَدَنَا إِلَى فَضْلِ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ، وَدَعَانَا إِلَى عَمَلِ الصَّالِحَاتِ فِيهَا، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ العَمَلَ الصَّالِحَ؛ لِيَكُونَ البَابُ مَفْتُوحًا لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ، فَمَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلاَّ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُ سَبِيلًا إِلَى فِعْلِ شَيْءٍ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ، فَطُوبَى لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا، وَطُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِفِعْلِ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ لا عَمَلٍ وَاحِدٍ، فقد أخرجَ البخاريُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ - يَعْنِي أَيَّامَ العَشْرِ - قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ))، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلا أَحَبُّ إِلَيْهِ العَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ)). يَا لَهَا مِنْ بِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضَاعِفَ أُجُورَهُ، وَيَرْفَعَ دَرَجَاتِهِ وَيَحُطَّ سَيِّئَاتِهِ. لذلكَ يجبُ على المسلمِ اغتنامُ هذهِ الأيامِ المباركةِ؛ ليكونَ مِن الفائزينَ. قالَ ابنُ رجبٍ في لطائفُ المعارفِ: (السعيدُ مَنِ اغتنمَ مواسمَ الشهورِ والأيامِ والساعاتِ، وتقرَّبَ فيها إلى مولاهُ بما فيها مِن وظائفِ الطاعاتِ، فعسى أنْ

تُصيبَهُ نفحةٌ مِن تلكَ النفحاتِ، فيسعدُ بها سعادةً يأمنُ بعدها مِن النارِ وما فيها مِن اللفحاتِ)، أيّها المسلمون. لَقَدْ كَانَ مِنْ نَهْجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ المُبَارَكَةِ كَثْرَةُ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ، وَقَدْ دَعَا إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ، روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ سيدنا عبد الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنّ سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ وَلاَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنْ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ)). وأخرج الإمام الترمذي في سننه وابن ماجه والبيهقي والحافظ عبد العظيم المنذري في الترغيب والترهيب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ)). وَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ المَوَاسِمِ لا يَسَعُكَ أَيُّهَا المؤمن المُوَفَّقُ إِلَّا أَنْ تُجَدِّدَ فِيهَا صِلَتَكَ بِالخَالِقِ الوَلِيِّ، فَتُحْسِنَ فِي صَلاتِكَ، وَتَسْعَى إِلَى إِصْلاحِ عَلاقَاتِكَ بِمَنْ هُمْ حَوْلَكَ، فَفي البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قُلْتُ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي))، أيّها المسلمون. وَهَذِهِ الْأَيَّامُ يُشْرَعُ فِيهَا بَعْضُ الطَّاعَاتِ الْمَخْصُوصَةِ، فَيُشْرَعُ صِيَامُهَا جَمِيعًا، لِمَا ثَبَتَ فِي السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ أمّهات المؤمنين السيّدة حَفْصَةَ وَالسيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ يَتْرُكُ ثَلَاثًا، وَمِنْهَا صِيَامُ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ صِيَامَهَا. وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ((مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ))، فَمُرَادُهُ فِي الْحَجِّ، أَيْ مَا رَأَتْهُ يَصُومُ فِي الْحَجِّ عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ، فَإِنَّهُ حَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَلَمْ يَصُمْ هَذِهِ الْعَشْرَ فِيهَا. فَمَنْ كَانَ حَاجًّا لَا يُشْرَعُ لَهُ الصِّيَامُ فِيهَا إِلَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ بِهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى أَدَاءِ مَنَاسِكِهِ. وَأَمَّا غَيْرُ الْحَاجِّ فَيُشْرَعُ لَهُ الصِّيَامُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَصُومَ الْإِنْسَانُ وَأَنْ يُحَافِظَ عَلَى صِيَامِهَا، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَافِظُ عَلَى صِيَامِهَا دَائِمًا وَلَا يَتْرُكُهُ. وَكَذَلِكَ فَإِنَّ صِيَامَهَا مِنْ صِيَامِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ الَّتِي ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِيهَا:

((صُمْ مِنَ الْحُرُمِ وَأَفْطِرْ، صُمْ مِنَ الْحُرُمِ وَأَفْطِرْ، صُمْ مِنَ الْحُرُمِ وَأَفْطِرْ))، أيّها المسلمون. وَيُشْرَعُ كَذَلِكَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنْ يُمْسِكَ مَنْ يُرِيدُ الضَّحِيَّةَ عَنِ الشَّعْرِ وَالْأَظْفَارِ، فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّى يَذْبَحَ إِنْ كَانَ لَهُ أُضْحِيَّةٌ. فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ، وَكَذَلِكَ الْجَمَاعَةُ كُلُّهُمْ مَا عَدَا الْبُخَارِيَّ، مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ذِبْحٌ -أَيْ مَا يَذْبَحُهُ- فَأَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ، فَدَخَلَ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا))، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي هَذَا النَّهْيِ: فَقِيلَ لِلْحُرْمَةِ، وَقِيلَ لِلْكَرَاهَةِ. فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: يَحْرُمُ عَلَى الْمُضَحِّي أَنْ يَأْخُذَ مِنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ، وَهَذَا مَذْهَبُ الظَّاهِرِيَّةِ، لِأَنَّ النَّهْيَ صَرِيحٌ. وقد فَهِمَ جمهور علماء الأمّة من هذا الحديث الاستحباب لا الوجوب، لأنّ الأضحية سُنَّةٌ أَوْكَلَ اللهُ أمرَها إلى إرادة المكلَّف، فكيف يكون الأمر بترْك أَخْذ الشعر واجباً وهو مرتَّب على سنّة وهي الأضحية؟ أيّها المسلمون. إِنَّهُ لَمَّا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ وَضَعَ فِي نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ حَنِيناً إِلَى مُشَاهَدَةِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، وَلَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ قَادِراً عَلَى مُشَاهَدَتِهِ فِي كُلِّ عَامٍ. فَرَضَ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ الْحَجَّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي عُمُرِهِ، وَجَعَلَ مَوْسِمَ الْعَشْرِ مُشْتَرَكاً بَيْنَ السَّائِرِينَ وَالْقَاعِدِينَ، فَمَنْ عَجَزَ عَنِ الْحَجِّ فِي كُلِّ عَامٍ قَدَرَ فِي الْعَشْرِ عَلَى عَمَلٍ يَعْمَلُهُ فِي بَيْتِهِ، يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْجِهَادِ الذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَجِّ. فَوَاجِبُنَا جَمِيعاً اسْتِشْعارُ هَذِهِ النِّعْمَةِ، واغْتِنامُ هَذِهِ الفُرْصَةِ، فَنَخُصُّ العَشْرَ بِمَزِيدِ عِنَايَةٍ، وَلْنُعَظِّمْ هَذِهِ العَشْرَ فَنُكْثِرُ فِيهَا مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ، وأَهَمُّ مَا يَنْتَهِزُهُ المسلمُ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ؛ فَلَها فِي هَذِهِ الأَيَّامِ شَأْنٌ عَظِيمٌ، فَأَجْرُها مُضاعَفٌ، وَإِذَا اجْتَمَعَ لكَ تَوْبَةٌ نَصُوحٌ مَعَ أَعْمالٍ فاضِلَةٍ فِي أَزْمِنَةٍ فاضِلَةٍ فهذا عُنْوَانُ الفَلاحِ. قال تعالى في سورة القصص: {فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَعَسِيَ أَنْ يَّكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ} أَلَا فَلْيَفْرَحْ بِتَوْبَتِكم رَبُّكُمُ الكَرِيمُ في مُسْتَهَلِّ هذِهِ الأيَّامِ الطَّيِّبَةِ المبارَكَةِ؛ فقَدْ أخرَجَ البخاريُّ في صَحيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((لَلهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ؛ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلاً وَبِهِ مَهْلَكَةٌ وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ؛ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي؛ فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ

رَأْسَهُ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ))، ولقَدْ كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَسْتَكْثِرُ مِنْها في كُلِّ وَقْتٍ وحِينٍ؛ فقد أخرج الإمام مسلمٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ)). وإنّ مِنْ أَجَلِّ الطَّاعاتِ في هذِهِ الأيَّامِ ذِكْرَ اللهِ تعالَى بشَتَّى الأَذْكارِ وَالمحامِدِ، فإنَّهُ صَنْعَةُ الصَّالحِينَ ودَأْبُهُم، وقَدْ قالَ اللهُ تعالَى في سورةِ الرّعد: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ}، وقَدْ أَخْرَجَ التِّرمذيُّ عَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أنَّهُ قالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟" قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى))، وقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: ((مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ)). أخرجَه التِّرمذيُّ. ومن كرامات الذكر أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى يَقْتَرِبُ مِنْ عَبْدِهِ الذِي يَذْكُرُهُ، ويَخُصُّهُ بكَرامَتِهِ وَوِلايَتِهِ، أخرجَ الإمام مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي؛ إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)). وكَما أَنَّ ذِكْرَ اللهِ تعالَى مِنْ أَفْضَلِ الأعمالِ الصَّالِحَةِ؛ فإنَّ الكلامَ بغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ مَفْسَدةٌ ومَشْغَلَةٌ. يَنْبَغِي أنْ تُصانَ عَنْها هذِهِ الأيَّامُ الغالِيَةُ، وأخرجَ الإمام مالك في مُوَطَّئِهِ. عن نَبيّ اللهِ عِيسَى بْن مَرْيَمَ عليهِ السَّلامُ يُوصِي بقولِهِ: ((لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللهِ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ، وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ، وَانْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ؛ فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلًى وَمُعَافىً؛ فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ، وَاحْمَدُوا اللهَ عَلَى الْعَافِيَةِ)). وكانَ لِسَلَفِنا الصَّالِحِ رضي الله عنهم في هذِهِ الأيَّامِ إجتهادٌ خاصٌّ يَلِيقُ بمكانَتِها وفَضْلِها، وكانُوا يَفْعَلونَ أشياءَ كثيرةً مِنَ الصَّالِحاتِ بُغْيَةَ أنْ يتَأَسَّى بهم غَيْرُهم، فيكونَ لَهم أَجْرُ السَّبْقِ وأجْرُ مَنْ تَعَلَّمَ مِنْهم، قالَ الإمامُ البخاريُّ رحِمَهُ اللهُ: (وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ

إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ يُكَبِّرَانِ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا)، وَكَبَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ خَلْفَ النَّافِلَةِ. وكما أنّ الذّكر في هذه الأيّام أُنْشُودة الحجّاج والمعتمرين. فهو أيضاً رأس مال المسلمين. الذين لم يستطيعوا حجّ بيت الله الحرام. فسبحان من جَعَلَ لِكُلِّ عبدٍ في طاعته. عِوَضاً عمّا يَخْرُجُ عن إرادته، فقد روى مسلم في صحيحه، أنه جاء بعض فقراء الصّحابة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ. يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي. وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ. وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ. إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً. وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ. وَفِى بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ. أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ. فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ)). أيّها المسلمون. الْغَنِيمَة الْغَنِيمَة. بِانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَظِيمَةِ؛ فَمَا عَنْهَا عِوَضٌ ولا تعادلها قيمة، فأبوابَ الخيرِ في عَشْرِ ذي الحِجَّةِ مُتَعدِّدَةٌ، وميادينَ التَّسابُقِ إلى الفضائِلِ فيها مُتَجدِّدَةٌ، والمبادرة المبادرة بالعمل، قبل أن يندم المفرِّط على ما فعل، فطوبَى لِمَنِ اغتنَمَها بالجِدِّ والتشميرِ والعَمَلِ، وتجنَّبَ التوانِيَ والدَّعَةَ والكسَلَ، فإنَّ الحياةَ الدنيا مزرعةُ الآخرةِ. أَكْثِرُوا مِنْ التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، وَالذِّكْرِ وَالتَّبْجِيلِ، وَالدَّعَوَاتِ وَالتَّكْبِيرِ، صُومُوا نَهَارَهَا وَقُومُوا لَيَالِيَهَا، وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَتَصَدَّقُوا بِمَا تَجُودُ بِهِ أَنْفُسُكُمْ، واسْتَبِقُوا الخيراتِ، وتنافَسُوا في الباقِيَاتِ الصَّالحاتِ. {وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ}. {وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ}. {وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}. ولا تنسوا رحمكم الله إخوانكم المحتاجين. من الفقراء واليتامى والمساكين. ومَنْ عجز منكم عن حج بيت الله الحرام في هذه العام. فليقصد رب البيت. بشكره في هذه الأيام. بالإنفاق والتّصدّق على ذوي الحاجات. وخاصّةً الأقارب والأرحام. من بعض المال الذي كان قد أعدّه وجهّزه لأداء الحج. ليكون من الذين يشمَلَهم قولُ حَبْرِ هذه الأمّة. وترجمان القرآن. سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. حيث قال: (لَأَنْ أَعُولَ أهلَ بيتٍ من المسلمين شهرًا أو جمعة أو ما شاء الله. أحبّ

إليّ من حَجَّة بعد حَجّة، ولَهَدية أُهْديها إلى أخٍ لي في الله. أحبّ إليّ من دينارٍ أُنْفِقه في سبيل الله). ويشهد لذلك ما رُوِي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أنّه قال: ((مَا مِنْ مُؤْمِنٍ أَدْخَلَ عَلَى مُؤْمِنٍ سُرُورًا، إِلَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ مَلَكًا يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَحْمَدُهُ وَيُوَحِّدُهُ، فَإِذَا صَارَ الْمُؤْمِنُ فِي لَحْدِهِ، أَتَاهُ السُّرُورُ الَّذِي أَدْخَلَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَمَا تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا السُّرُورُ الَّذِي أَدْخَلْتَنِي عَلَى فُلَانٍ، أَنَا الْيَوْمَ أُؤْنِسُ وَحْشَتَكَ، وَأُلَقِّنُكَ حُجَّتَكَ، وَأُثَبِّتُكَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَأَشْهَدُ بِكَ مَشْهَدَ الْقِيَامَةِ، وَأَشْفَعُ لَكَ مِنْ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، وَأُرِيكَ مَنْزِلَكَ مِنَ الْجَنَّةِ)). فما أسعدَ المسلم المتصدِّق في هذه الأيام المباركة بإدخال السرور بصدقته على المسلمين. وليطمئنَّ مَنْ نوى الحج وتَخلَّف عنه لعذر بأنّه بنيّته الصادقة مثابٌ كمَنْ أدّاه. فقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا منَ الْمَدِينَةِ؛ فَقَالَ: ((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)). جعلني الله وإيّاكم مِمَّن اشتغل بالعمل الصالح في هذه الأوقات. وأجزل الله له الأجر والمثوبات. وتقبَّل منَّا الدعوات. وجعلنا ممّن نظر إليهم بعين الرضى في الحياة وبعد الممات. فنالوا بذلك أعلى الدرجات. في جوار سيّد السادات. وشفيع المخلوقات. سيّدنا ومولانا محمّد عليه من ربّه أفضل الصلوات. وأزكى التسليمات. وأعطر التحيّات المباركات. اللهم وفّقنا فِي هَذِهِ الْعَشْرِ لِسُلُوكِ الْهَدْيِ الْقَوِيمِ، وَلُزُومِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَكْرمنَا بِمَا فِيهَا مِنَ الفَضْلِ العَظِيمِ، وَالْخَيْرِ الْوَاسِعِ الْعَمِيمِ. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ